

Haggai Erlich

*Islam and Christianity in the Horn of Africa:
Somalia, Ethiopia, Sudan*

(Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 2010). xi, 225 p.

**الإسلام والمسيحية في القرن الأفريقي:
السودان وإثيوبيا والصومال**

محمد عمر محمود(*)

أستاذ في جامعة الخرطوم، وحدة الترجمة والتعريب.

الأولين من القرن العشرين متناولاً انتقال
الحراك السياسي الإسلامي - المسيحي من
المهدية السودانية إلى المسرح الإثيوبي -
الصومالي.

في الفصل الرابع المعنون: الأفريقية
والعروبة والماركسية: إثيوبيا والسودان
١٩٣٠ - ١٩٩١؛ يقدم المؤلف تحليلاً
للعلاقات السودانية - الإثيوبية من خلال ثلاث
حقب، ويبدأ هذا الفصل بحقبة هيلاسيلاسي
من العام ١٩٣٠ إلى ١٩٧٤، وخلال هذه
الفترة نال السودان استقلاله في العام
١٩٥٦. ويقطع الكاتب هنا بالرأي بأن أكبر
المعضلات - وقتها - تمثلت بقضيتي إريتريا
وجنوب السودان، والحقبة الثانية هي فترة
نظام منقسّو بين عامي ١٩٧٤ و ١٩٩١،
حيث شهدت هذه الفترة تدهوراً في العلاقات
مصحوباً بتغيير في الخطاب والرؤى، إذ كان

١ -

جاء الكتاب، في طبعته الأولى التي
صدرت في العام ٢٠١٠، في مئتين وخمس
وعشرين صفحة من القطع المتوسط، موزعة
على ثمانية فصول؛ الأول بعنوان: المسلمون
والمسيحيون في القرن الأفريقي: التفاعل
خلال العصور؛ والثاني: من المواجهة
الكارثية إلى الصداقة البراغماتية: إثيوبيا
والسودان ١٨٨٤ - ١٨٩٨ وقد تناول
المؤلف فيه حقبة المهدية في السودان
وهي واحدة من الحركات السياسية المفعمة
بالحراك والحيوية حيث تجددت فيها روح
السودانيين وانبعث فيهم الهمة بوصفهم
مجتمعاً حديثاً؛ أما الفصل الثالث: الراديكالية
والحرب والبراغماتية، إثيوبيا والصومال
١٨٩٩ - ١٩٢٠ فقد درس الكاتب فيه
العلاقات الإثيوبية الصومالية خلال العقدين

القوية معها باعتبارها جاراُ ذا خصوصية فإنهم - عندما يستذكرون فجر الإسلام وهويتهم ومستقبلهم - يرون إثيوبيا بلداً له وضعه وأهميته. ثم يخلص الكاتب إلى القول بأنه يبدو من المؤكد أن التطورات الراهنة في منطقة البحر الأحمر والصومال وهرر والجنوب الإثيوبي ستكون عظيمة التأثير في مستقبل الإسلام في إثيوبيا أكثر من تلك التي تأتي من جهة السودان.

وفي الفصل السادس: القومية والصراع، إثيوبيا والصومال ١٩٤٣ - ١٩٩١، والسابع عودة الدين إلى الصدارة: إثيوبيا والصومال ١٩٩١ - ٢٠٠٩ رجع المؤلف إلى الموضوع الإثيوبي - الصومالي متبعاً نظام الحقب التاريخية مبدئياً قليلاً من التفاؤل، فالأمور التي تفرّق الصومال وإثيوبيا عصية على الحل - كما يراها المؤلف - مقارنة بتلك التي تفرّق بين إثيوبيا - والسودان. فالصوماليون يعتبرون إثيوبيا بلداً محتلاً لإقليم الأوقادين ذي السكان الصوماليين، وهم يرونه يمثل جزءاً أصيلاً من هويتهم الوطنية. وبالنسبة إلى كثير من الإثيوبيين فإن الصوماليين هم أحفاد أحمد قرين وما انفكوا يشيعون الفوضى جنوب إثيوبيا. ويعضد الكاتب رأيه هذا بالقول بأنه قد وقع خلال الحقب التي تناولها الكاتب بالنقاش في هذين الفصلين ١٩٤٣ - ١٩٩١ و ١٩٩١ - ٢٠٠٩ الكثير من الأحداث العدائية بين الجانبين.

وفي الفصل الثامن: الدين والسياسة في القرن الأفريقي: الخيارات والاختيارات؛ الذي يحمل لب الكتاب وخلاصته ورؤية كاتبه لما يكون عليه المستقبل، يرى المؤلف أن مسيحية إثيوبيا قد عادت من جديد بعد

التفاعل يستلهم روحه من المفردات الشيعية تارة ومن التصورات الأفريقية وأواصر القربى والتعاون تارة أخرى.

وفي الفصل الخامس: عودة الإسلام السياسي (إثيوبيا والسودان ١٩٩١ - ٢٠٠٩)؛ يورد المؤلف تحليلاً للتفسيرات المتجددة للإرث الإسلامي - المسيحي ذاكراً أن العلاقات الإثيوبية - السودانية، خلال العقدين الأخيرين، قد تأثرت بالصحنات الدينية بوصفها جوانب حيوية فعالة في شؤون الدولتين كليهما. ففي إثيوبيا - عقب زوال حكم منقستو في العام ١٩٩١ - تجددت المسيحية وغدت مفعمة بالحيوية تجسداً لتاريخ البلاد وهويتها وأصبحت مسيحية إثيوبيا التقليدية - المحررة من أغلال النظام الشيوعي المعادي للدين - خصبة من خلال تفاعلها مع الكنائس الأخرى التي ظهرت في إثيوبيا وخارجها، ومن خلال التواصل المكثف مع العالم المسيحي الأوسع.

كما أن الإسلام - بوصفه هوية ثقافية واجتماعية - قد نهض جزءاً مكتملاً للنسيج الإثيوبي. ويضيف المؤلف قائلاً إن التعريف الجديد لإثيوبيا - بوصفها دولة فدرالية تقوم على التنوع العرقي - قد أسهم في انفتاح البلاد تجاه مسلميها وتجاه الإسلام. وكذلك فإن للحراك الإسلامي في إثيوبيا - اليوم - مظاهر سياسية مهمة تتصل اتصالاً وثيقاً بعلاقات البلاد مع السودان وبجيرانها الآخرين.

ويشدد الكاتب على أن الوضع التاريخي للحبشة هو أمر له معناه ومغزاه بالنسبة إلى السودانيين وذلك بوصفها جارة مسيحية وأرضاً للهجرة الأولى. وفضلاً عن الصلات

هذه الفرص بل قد ينتج منه صراع داخلي من أسوأ طراز.

ثم إن المؤلف يؤكد أن تعداد المسيحيين في السودان يتزايد وفق كل الحسابات، وخصوصاً البروتستانت والطائفة الخمسينية. فالمسيحيون ليسوا في الجنوب فقط، بل يضطلعون بدور متنامٍ في الشمال بسبب أعدادهم في الخرطوم وبعض المدن الرئيسية. وكما الحال في إثيوبيا، فإن بالإمكان تبيين حراك بين الطوائف المسيحية الرئيسية والناشطين الراديكاليين البروتستانت بموارد دعم خارجية. فهؤلاء - على وجه الخصوص - يضطلعون بدور سياسي ودبلوماسي كبيرين.

ويرى المؤلف أن مستقبل الإسلام في الصومال صائر إلى مآلين يحددهما نوع «الإسلام» الذي ستكون له الغلبة بين الصوماليين: إما الإسلام الأكثر تسامحاً مع الأعراف والتقاليد المحلية الذي يوجد فرصة للجهود - التي ما زالت عديمة القيمة - لبناء دولة قابلة لأن تعيش في ظل مؤسسات حديثة للصوماليين؛ وإما الإسلام الراديكالي الذي يرى الكاتب أنه إذا ساد فلن يكتفي بأن يُقصي الإسلام الشعبي الذي يعتنقه أغلبية الصوماليين بل سيؤدي - حتماً - إلى حرب دينية مع إثيوبيا، تُلحق الضرر بالصوماليين كما حدث في السابق. ويضيف: إن الصومال حلبة تتصارع فيها هذه الخيارات اليوم، حيث يقاتل المسلمون الراديكاليين. فهؤلاء - الراديكاليون - يسندهم ويدربهم الجهاديون الإسلاميون من كبريات الدول الآسيوية الإسلامية بينما المعتدلون تساندتهم بعثة الاتحاد الأفريقي العسكرية. إنه بالفعل

سنوات من الضعف، حيث ساعد النظام الجديد - منذ العام ١٩٩١ - المسيحية الإثيوبية على استرداد عافيتها، وذلك بانفتاحه على التنوع في البلاد كما بانفتاحه على العالم، فالإثيوبيون - اليوم - أوثق رباطاً بماضيهم وتاريخهم ويتعرضون لتحديات خارجية دينية مفعمة بالحراك.

- ٢ -

ويتردد المؤلف في الحكم بشأن أي «إسلام» وأي «مسيحية» سيؤثران في التطورات المستقبلية في إثيوبيا (فأحوال البشر مما لا يمكن التنبؤ به)؛ لكنه - استناداً إلى ما هو قائم - يميل إلى أن إعادة الدفء إلى العلاقات الإسلامية - المسيحية هو الأمر الأهم عند الإثيوبيين، كما لا يغفل الإشارة إلى أن أغلبية الإثيوبيين - كما يراهم - يصوبون بصرهم إلى الجانب العرقي البالغ الحساسية وإلى الثغرات في عملياتهم الديمقراطية، ولا يقل عن ذلك أهمية عندهم كيفية اندماج المسلمين في النسيج الإثيوبي.

ويورد المؤلف - هنا - خيارين يرى أن المسلمين الإثيوبيين يلزمهم اختيار واحد منهما: الأول يقضي بأن يشارك مسلمو إثيوبيا في بناء مستقبل البلاد على قدم المساواة مع الآخرين، أما الثاني فيستتبع أن يتطلعوا إلى كسب إثيوبيا لمصلحة الإسلام. أما الخيار الأول - كما يراه الكاتب - فيسفر عن بث إثيوبيا طاقات عظيمة في اقتصادها وانفتاحها أكثر على الشرق الأوسط الثري، وتعجيلها وتيرة التطور في المجالات الأخرى كذلك، ولا يوحى الخيار الثاني بمجرد فقدان

أشرنا إليها بالتزامن مع تاريخ نشر الكتاب (العام ٢٠١٠) يعكس احتفاء المؤسسات الرسمية في إسرائيل بهذا الكتاب وأهميته عندها. إضافة إلى أن المنطقة التي يتناولها الكتاب لها من الأهمية ما لا يخفى لكونها تعد منطقة تمازج أفريقي - عربي ولما فيها من المقدرات الاستراتيجية والحيوية الظاهرة والباطنة.

- ٤ -

أما لجهة الملاحظات حول الكتاب فيمكن تلخيصها بالتالي:

١ - استخدم الكاتب منهجاً انتقائياً من وقائع متفرقة ومختلفٍ حولها، وينتهي به ذلك إلى تصنيفات للإسلام من سياسي إلى راديكالي وآخر متصالح وغيرها من الأسماء التي تبرز من خلالها محاولة تصوير الإسلام كأنه ملل ونحل متباينة متعارضة استناداً إلى مظاهر وظواهر تتصل بأنماط التدين لا بالدين الإسلامي ذاته.

٢ - اعتمد الكاتب كثيراً على المصادر الصحفية والإعلامية وهي - بطبيعة الحال - ليست في مقام المصادر الأولية للمعلومة، ومن ثم فإن أحكامه لا تبدو دقيقة أحياناً، ولا سيما أن العينات البحثية ليست ذات دلالة إحصائية في بعض الأمور؛ من ذلك قوله إن السودانيين يتجادلون حول اسم بلدهم مستنداً في ذلك إلى مداخلة واحدة وردود عليها في موقع إلكتروني مغمور (ص ١٢٨ وما بعدها).

٣ - يورد الكاتب أحياناً نتائج منبئة عن سياق الحديث، من ذلك - مثلاً - ما

تصادم بين النهج الإسلامي التقليدي المحلي الشعبي المرن السائد في أفريقيا وذلك المتمثل بالنظريات الجامدة والرؤى الحاملة المستوردة والمدعومة من جهادي الشرق الأوسط.

ويرجح المؤلف، بعد استعراضه الحراك الإسلامي - المسيحي في القرن الأفريقي قديماً وحديثاً وآثار ذلك في علاقات دوله الثلاث (الصومال وإثيوبيا والسودان) وما يكون عليه مستقبل هذه البلدان، أن الخيارات جميعها ماثلة وقائمة؛ فبإمكان الإرث الديني المنفتح وروح الجيرة الحسنة أن يكونا قوة دافعة إلى ما فيه خير مسلمي المنطقة ومسيحييها، كما أنه بإمكان الروح الجهادية الإسلامية والعقلية المسيحية المغلقة أن تقودا الإقليم إلى عقبى لا تحمد، ذلك أن الإسلام الراديكالي له من القوة ما يجعله قادراً - حسب رأيه - على إغراق إثيوبيا ومن ثم الأمن العالمي في خضم من المتاعب والمصاعب.

- ٣ -

أما الفكرة التي يبدو أن الكاتب قد كرس لها كتابه وأسس عليها بحثه فهي ما جعلها خاتمة لمطافه، إذ يقول بأسلوب تقريرى واضح وجلي: «إن الدين والسياسة - في هذا الجزء من العالم - لا ينفصلان ولا يفترقان». ويصل ذلك برجائه «أن يتحرر الدين من ضيق العقول ومن روح الشحناء والبغضاء».

تأتي أهمية الكتاب من المكانة الأكاديمية لمؤلفه كمستشار علمي للجامعة الإسرائيلية المفتوحة، كما من الجهات التي دعمت إعداده. ثم إن نيل الكاتب الجائزة التي

٤ - لم يبين بعض أحكامه على بيّنة ولم يأتِ عليها بدليل؛ من ذلك قوله «يتزايد تعداد المسيحيين في السودان وفق كل الحسابات» (ص ١٩٦).

٥ - عموماً يستحق الكتاب الدراسة والنظر فهو - على أقل تقدير - يعتبر قراءة أكاديمية تحليلية للأمور من منظور وموقف مغايرين □

اختتم به الفصل الخامس بقوله: «يبدو أنه من المؤكد - الآن - أن التطورات في منطقة البحر الأحمر والصومال وهرر والجنوب الإثيوبي ستكون عظيمة التأثير في مستقبل الإسلام في إثيوبيا من تلك التي تأتي من جهة السودان»، ولا تكاد هذه العبارة تتصل بصلة بما قبلها ولم يقدم لها بتحليل مقنع، ما يجعلها أقرب إلى الزعم منها إلى النتيجة العلمية المنطقية المسببة.

صدر حديثاً

الجاليات العربية في أستراليا

د. بول طبر



يقدم هذا الكتاب دراسة وصفية - تحليلية عن أحوال الجاليات العربية في أستراليا تتيح للقارئ الإطلاع على حياة هذه الجاليات بصورة عامة.

ويبحث الكتاب في إشكالية الهوية الثقافية للمجموعات العربية المهاجرة بهدف كشف الوقائع السوسولوجية لهذه المجموعات وما يعترئها من ديناميات تؤدي في النهاية إلى خلق حالات متنوعة من التعامل مع المجتمع الأسترالي.

يحاول الكتاب رصد التحولات التي تتعرض لها العدة الثقافية التي تهاجر مع المواطن العربي من بلده الأم إلى أستراليا، وكيفية إعادة تشكيل الموروث الثقافي للمهاجر العربي، وما يحدث له في سياق إعادة التشكيل هذه؛ راصداً الكتاب بذلك العوامل والتحديات التي تواجه المجموعات العربية في أستراليا في سياق بناء ذواتها الجمعية.

٣٦٧ صفحة

الـثمن: ١٧ دولاراً

أو ما يعادلها